الحدث ملمحاً سردياً في شعر المرأة في العصر العباسي

The event is a narrative feature in women's poetry in the Abbasid era

حسن خيري حمدون حامد الحيالي
أ.د. منتصر عبد القادر الغضنفري
جامعة الموصل– كلية التربية للعلوم الإنسانية– قسم اللغة العربية

Hassan Khairy Hamdoon Hamed Al-Hayali
Dr. Muntaser Abdul Qader Al Ghadhanfari
University of Mosul - College of Education for Humanities Sciences - Department of Arabic Language

mhaahassan7@gmail.com

تاريخ الاستلام ٢٠٢١/٦/١٣ تاريخ القبول ٢٠٢١/٧/٥

الكلمات المفتاحية: الحدث– المرأة– البنية السردية

Keywords: The event - the woman - the narrative structure

الملخص

يعد الحدث من أهم مكونات البنية السردية . فعندما نقص قصة ما لابد لها من أن تتوافر على حدث، أو جملة من الأحداث تسهم في دفع مجريات السرد إلى الأمام، لذلك يعد الحدث جزءاً أساس من بناء أي قصة أو سرد . كما أن وجوده يرتبط بالأساس بالشخصية، فهي منبع الحدث، وقلما يخلو حدث من فعل شخصية . كما يرتبط الحدث بعنصري الزمان والمكان، فلابد من أن يقع الحدث في زمان معين، ومكان معين، لذلك يعد الحدث العمود الفقري لمجمل العناصر السردية . ومن هنا تأتي غاية هذه الدراسة التي تسعى في دراسة الحدث في شعر المرأة في العصر العباسي والتعرف على أنماط بنائه في شعرهن.

Abstract

The event is one of the most important components of the narrative structure. When we lack a story, it must have an event, or a group of events that contribute to pushing the narrative forward, so the event is an essential part of building any story or narration. Its existence is mainly related to the personality, as it is the source of the event, and rarely is an event devoid of the action of a personality. As the event is linked to the elements of time and place, the event must take place at a specific time and place, so the event is the backbone of the overall narrative elements. Hence the aim of this study, which seeks to study the event in women's poetry in the Abbasid era and to identify the patterns of its construction in their poetry.

مدخـــل

يعد الحدث من أهم عناصر السرد ؛ فهو ((العمود الفقري لمجمل العناصر الفنية الزمن، المكان، الشخصيات، اللغة)) [١] . وهو ((ليس مجرد شيء عابر انه أكثر من مجرد شيء، يحدث وكفى، بل هو ما يُسهم في مجرى عملية السرد، مثلما يُسهم في بدايتها ونهايتها))[٢] . وهل السرد إلا المصطلح العام الذي ((يشتمل على قص حدث أو أحداث أو خبر أو أخبار، سواء أكان ذلك من صميم الحقيقة أم من ابتكار الخيال))[٣] . إنه ((كل ما يؤدي إلى تغير أمر أو خلق حركة أو انتاج شيء))[٤] . فعندما نقص أو نحكي شيئا ما، فإن ذلك يعني أن لدينا حدثا ينطوي عليه هذا القص ؛ فالحدث جزء أساس من بناء أي سرد، وهذا ما أكده جيرار جينيت بقوله إن ((المادة الأساسية لأنواع الشعر الأخرى هي الأحداث))[٥] . وقد تتخلى القصة أو السرد عن بعض من عناصرهما لكنهما لا يتخليان عن الحدث . وكل سرد يقوم على دعامتين اساسيتين[٦] :

أولهما : أن يحتوي على قصة ما، تضم أحداثا معينة .

ثانيهما : أن يعين القاص الطريقة التي تسرد أو تحكى بها تلك الأحداث وتسمى هذه الطريقة التي يتخذها سردا ؛ ذلك أن الحدث الواحد يمكن ان يحكى بطرائق متعددة .

يرتبط الحدث بالشخصية ؛ فهي جزء أساس في بناء أي حدث وقلما يخلو حدث من فعل شخصية ((وما الشخصية إلا تقرير لحادثة ؟ ما الحادث إلا توضيح للشخصية))[٧] . كما أن وحدة الحدث ((لا تتحقق إلا بتصوير الشخصية وهي تعمل عملا له معنى، وبدون المعنى لا يمكن للأحداث ان تكتمل، لان أركانه ثلاثة، الفعل، والفاعل، و المعنى، وهي وحده لا يمكن تجزئتها، ويجب ان تقوم الأحداث والشخصيات على خدمة هذا المعنى من أول القصة

(١) تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، امنة يوسف : ٣٧ .
(٢) الوجود والزمان والسرد، بول ريكور : ٤١.
(٣) معجم مصطلحات العربية في اللغة والأدب : ١٩٨.
(٤) معجم مصطلحات نقد الرواية : ٧٤.
(٥) مدخل إلى النص الجامع : ٣١ .
(٦) ينظر : بنية النص السردي : ٤٥.
(٧) التخييل القصصي الشعرية المعاصرة، شلوميت ريمون كنعان : ٥٨.

إلى آخرها، وإلا اصبحت مختلة البناء))[١]. كما يرتبط الحدث بالحوار، إذ إن الحوار المتبادل بين الشخصيات ينمي الحدث ويبلوره، لأنه يبني الوقائع الصغيرة، ويدخلها في سياق الحدث، لتكون جزءا منه، كما يعمق الحوار معرفتنا بالشخصيات فيفصح عن بواطنها النفسية، ومواقفها، إنه الوسيلة المباشرة المتاحة لدى الشخصيات للتعبير عن أفكارها وآرائها، والكشف عن الصراع الذي تخوضه مع الشخصيات الأخرى أو مع ذاتها، وهو بذلك يقوم بوظيفة درامية [٢]. كما يرتبط الحدث بعنصري الزمان والمكان الذين يشكلان الحدث؛ فالحدث لابد أن يقع في زمان معين أو مكان معين، فكل ((حادثة تقع لابد ان تقع في مكان معين وزمان بذاته. وهي لذلك ترتبط بظروف وعادات خاصة بالزمان والمكان اللذين وقعت فيهما. والارتباط بكل ذلك ضروري لحيوية القصة))[٣]. ويتجسد الزمان من خلال الأحداث أنفسها إذ ان ((الحدث هو اقتران فعل بزمن، وهو لازم في القصة لانها لا تقوم الا به))[٤]. والزمن ضابط للحدث، وعلى نبضاته يسجل الحدث وقائعه . اما المكان فهو الخلفية التي تقع فيها هذه الأحداث [٥].

كما أن هناك علاقة بين الحدث والحبكة ؛ فالحدث في العمل القصصي مجموعة من الوقائع الجزئية مرتبطة ومنظمة على نحو خاص هو ما يمكن أن نسميه (الحبكة)، ومفهومها أن تكون حوادث القصة وشخصياتها مرتبطة ارتباطا منطقيا يجعل من مجموعها وحدة ذات دلالة محددة وذات بناء متماسك الاجزاء، يأخذ بعضها برقاب بعض و تؤدي إلى هدف واحد[٦]. فالحبكة تركيب مجموعة من الأحداث في حدث واحد كامل و موحد، يمكن للعقل أن يدركه دفعة واحدة، فالقاص يقوم بسبك الأحداث وربطها ببعضها لتشكل نسيجا واحدا دالا على معنى. والأحداث إما أن تكون بسيطة أو معقدة، فالحدث البسيط هو ما يعرض حدثا مستمرا متسلسلا، أما الحدث المعقد فهو الذي تتداخل فيه الأحداث بحيث لا يجوز ان ننقل أو

---

(١) النص والاسلوبية بين النظرية والتطبيق، عدنان بن ذريل : ١٨٨.

(٢) ينظر : البناء الفني لرواية الحرب في العراق، عبدالله ابراهيم ١٨٦، والنقد الأدبي الحديث: ٦١٤ .

(٣) الأدب وفنونه (دراسة ونقد) ، عز الدين إسماعيل : ١٠٨.

(٤) دراسات في القصة العربية الحديثة، أصولها اتجاهاتها أعلامها، محمد زغلول سلام : ١١.

(٥) ينظر : بناء الرواية : ١٠٦.

(٦) ينظر : الأدب وفنونه (دراسة ونقد) : ١٠٤ .

نحذف أيا من هذه الأحداث إلا ويهدم البناء الفني لهذه الأحداث[١]. ويجب أن تتتابع ((الأحداث الحدث تلو الحدث بحتمية درامية، بحيث تخلق في وجدان المشاهد شعورا بان الأحداث تتبع في طبيعتها ما سبقها من أحداث، وتؤدي إلى ما يليها من أحداث ايضا على اساس التسلسل المنطقي))[٢] . إن الحبكة هي شبكة من الأحداث ذات الأبعاد المختلفة التي تتعقد بالمفاجآت والأحداث إلى أن تصل ذروتها ثم تبدأ بالانفراج . ويمكن عد الحبكة الخيط الذي يجمع الأحداث برباط واحد، يوحدها داخل العمل السردي .

أما أنساق بناء الحدث فهي كثيرة ومتعددة[*]، وسنتناول في مبحثنا هذا النسق التقليدي في بناء الأحداث، وهو النسق المتسلسل أو المتتابع على أساس من أن شعر المرأة في العصر العباسي يأخذ نمطا واحدا من حيث بناؤه، وهو النسق التقليدي (المتتابع) لسير الأحداث، أساس من أن الصفة الغالبة على شعر المرأة هي المقطعات الشعرية، التي لا تحتمل أن تضم بقية الأنساق، وذلك راجع بطبيعة الحال إلى قصرها . فضلا عن ((أن عرض الأحداث تبعا لزمن، أو لآخر من الازمنة. هو بناء جمالي بحت بمعنى ان كاتب القصة، أو بالأحرى، راويها عندما يتلاعب بالتتابع الزمني أو المنطقي للأحداث من حيث التقديم والتأخير والقلب والابدال والتضمين والقطع فانما يسعى لايجاد نوع من التأثير الفني المباشر على قرائه ومستمعيه))[٣] .

---

(١) ينظر : القصة القصيرة النظرية والتطبيق : ١٢٢ .

(٢) مدخل الى فن كتابة الدراما : ٦٠ .

(*) وقد حدد النقاد مجموعة من الأنساق في بناء الحدث :

١- النسق التسلسل (التتابع) .

٢- النسق التناوب (التوازي).

٣- النسق التكراري (الدائري).

٤- النسق المتداخل .

(ينظر: نظرية المنهج الشكلي نصوص الشكلانيين الروس، ترجمة ابراهيم الخطيب : ١٢٢- ١٤٩، و المتخيل السردي : ١٠٧- ١١١ ، وتحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبئير) ، سعيد يقطين : ٧٣- ٧٤ ، والمنهج التكويني من الرؤية إلى الإجراء، رحمن غركان : ١٧٢- ١٧٤).

(٣) الألسنية والنقد الأدبي في النظرية والممارسة، موريس ابو ناضر : ٩١.

إن النسق المتتابع يميل إلى سرد الأحداث بحسب تتابعها الزمني، إذ تبدأ بزمن معين أو نقطة معينة وصولا إلى الغاية التي ينشدها الراوي (السارد) . وهذا النسق ((هو أكثر الأنساق شيوعا وبساطة وأقدمها بجميع اشكاله و ضروبه، ويعود سبب شيوعه ـ وبقائه في الوقت نفسه ـ إلى رغبة الانسان في فهم الاشياء تباعا وبشكل بسيط افضل مما لو تشابكت وتعقدت بعضها ببعض))[١] . إن ما يميز هذا النسق أن الحدث فيه يترتب مع الزمان على ((نحو متوالٍ بحيث تتعاقب المادة السردية جزءا بعد آخر من دونما ارتداد أو التواء في الزمان. لهذا عدّ هذا النسق في الخطابات السردية من أبسط أشكال النثر الحكائي التخيلي))[٢]. ونجد في هذا النسق ((توازيا بين زمن الكتابة، وزمن الأحداث، فالأحداث تتابع كما تتابع الجمل على الورق بشكل خطوط))[٣] .

إن الحدث يظهر واضحا وجليا في الشعر، فمعظم قصائد الشعر العربي تقص أو تحكي حدثا معينا، ولا تخلو أية قصيدة من حدث، أو مجموعة من الأحداث التي يقصها الشاعر على شكل أبيات شعرية، سواء أكانت هذه الأحداث تجارب شخصية عاشها الشاعر، أم أحداثا عاصرها، أم كانت أحداثا تاريخية جرت في زمانه أو قبله .

إن الحدث في النص الشعري يختلف في طريقة سرده وتركيبه عما هو عليه في الرواية والقصة ؛ وذلك راجع إلى طبيعة النص الشعري الذي يميل إلى الإيجاز والإيحاء والتكثيف، كما ((لا يكون نقل الأحداث في الشعر صورة فوتوغرافية عن الواقع، و إنما يعيد الشاعر في قصيدته رسم الواقع بريشة عاطفته، و وفق ما تمليه عليه رؤيته من الأحداث التي ينتقيها، و موقفه الذي يتخذه مما يراه، فالشعر لا ينقل عالم الزمان و المكان كما هو، لكنه يعيد تأسيسه و تركيبه مرة أخرى وفقا لنظام الخيال، ثم يمنحه ايقاعا))[٤]. فالقصيدة ((تشكل أحداثها، وتكون أحداث الواقع في الخلفية، تلقى بظلالها عن طريق الإيحاء أو الإشارة، فالذي ينشغل به الشاعر هو فلسفة الحدث وليس الحدث في حد ذاته... فهو يمتزج بالواقع وينفصل عنه في آن، ويتشكل عبر علاقة خاصة بينه وبين الشخصية من ناحية وبينه وبين

(١) بناء الحدث في شعر نازك الملائكة (مقاربة نصية)، نجوى محمد جمعة : ٩٦.
(٢) المتخيل السردي : ١٠٨.
(٣) الألسنية والنقد الأدبي في النظرية والممارسة : ٨٨.
(٤) الحدث وأنماطه في الشعر السعودي المعاصر مقاربة تطبيقية للشاعرين الروائيين القصيبي والصاعدي، سلطانة محمد العتيبي : ١٨١.

الراوي من ناحية أخرى))[١]. وفي حين تأخذ الأحداث في الرواية أو القصة حيزا يمتد إلى صفحات أو فصول، فإنها في النص الشعري تأتي بشكل مختزل لا يتجاوز أبياتا محدودة[٢].

قالت سنيرة العُصَيبية :[٣]

ونادى بالتّرحُّلِ بعض صحبي فرُحْتُ ومُقْلتي غرقى بِمَاها
فراحو والشَّقِيُّ له دُيونٌ وأَشيا من حوائجَ ما قضاها
فأرخيتُ العِمامة دون صحبي على عيني وقلتُ جرى قذاها
و مالي حاجَةٌ إلا بِبَكر وما ذنبي على احدٍ سِواها
فقالوا من ضراري كيف بَكْرٌ وكيف تراكَ تَرجُو أن تراها
فقلت الله حَمَّ فراق بَكرٍ فأرجو أن يَحمَّ لنا لِقاها .

يبدأ الحدث هنا من النداء للرحيل من خلال بعض أصحاب / الشخصيات الثانوية الشاعرة / الراوي، النداء الذي خلف حزنا في نفسها يتضح في قولها (ومُقْلتي غرقى بِمَاها). وتعمد الشاعرة / الراوي إلى وصف حال بعض من صحبتها بوصف ذلك جزءا من مواساتها لنفسها من حيث انها لم تكن وحدها حزينة بهذا الرحيل . فقد كان لبعض منهم ديون و لآخر حوائج ما قضاها . فضلا عن توصيفها اياهم بلفظة (الشقي).

وما أن بدا الرحيل حتى اضطربت نفسية الشاعرة / الراوي فأرخت العمامة إلى عينها لاخفاء بكائها، وعندما سُئلت عن ذلك قالت (جرى قذاها). إن استخدام الشاعرة / الراوي هذا الوصف البصري في حكايتها عن حالتها كان بمثابة لقطة سينمائية، جاءت على شكل حركة جسدتها الشاعرة / الراوي على النحو الذي حكت ، فضلا عن أن هذا الوصف جاء مطورا للحدث السردي الشعري ؛ لان السرد بلا وصف هو سرد بلا أناقة أو جمال[٤] . ثم تخبر الشاعرة / الراوي أن حاجتها الوحيدة هي بكر (المحبوب) الشخصية الرئيسة. وتنقل الشاعرة / الراوي ((عواطفها ومشاعرها ومعاناتها في الحب عبر موقف بعينه مرت به موظفة

(١) آليات السرد في الشعر العربي المعاصر : ١١٦.
(٢) ينظر: السرد عند شعراء القصائد العشر الطوال، ميلاد عادل جمال المولى : ١٧٧.
(٣) شاعرات العرب في الجاهلية والاسلام : ١٥٧.
(٤) ينظر : في نظرية الراوية : ٢٥٣ .

الحوار أسلوبا فنيا في نصها (فقالوا....وقلت) لتنقل لنا ما دار بين صحبها وبينها من سؤال وجواب عن بكر هذا))[١] .

إن قطع السرد بالحوار (فقالوا....وقلت) يمنح الأداء الشعري مزية يحتاج إليها المتلقي، وهي مزية الانعطاف إلى ذات الشاعرة / الراوي، لغرض التعرف إلى ما تفكر فيه وما تتمناه من لقاء محبوبها (بكر) في المستقبل، فضلا عن التقليل من رتابة السرد .

وقالت سلمى اليمامية جارية أبي عباد :[٢]

يكفي الزمـانُ فعالـه يكفـي أبقى البغيـضَ و بـزّني إلفـي
يـا نازحـا شطَّ المـزارُ بـهِ شوقي إليـكَ يَجـلُّ عن وَصْفِي
أسـهرتَ عيني في تفرقـنا ما التذّ بعدَك بـالكرى طَرْفِي
أغـفى لكي ألقاكَ في حُلـمي و مـن الكـبائرِ ثاكـلٌ تَغْفِـي .

تفتح الشاعرة / الراوي رواية حدثها بالحديث عن الزمان / الشخصية الرئيسة ومافعله بها ؛ فقد أبعد عنها الحبيب / الشخصية الرئيسة وأبقى البغيض / الشخصية الثانوية ، وبهذا الإخبار عن الزمان تنقلنا الشاعرة / الراوي إلى جو الحدث (الفراق) وبداية محنتها ورحلة عذابها، التي عانتها جراء فراق حبيبها . أن صوت معاناة الشاعرة / الراوي تطالعنا منذُ الوهلة الأولى، وذلك عندما وظفت (يا) النداء في مخاطبة حبيبها / الشخصية الرئيسة ؛ لتوحي ببعد المسافة بينهما، وقد عمقت لفظة (نازحا) هذا البعد عندما اتخذتها الشاعرة لقبا أضفته على حبيبها . والشاعرة / الراوي تعرض تجربتها مع الفراق بأسلوب درامي، باستخدام ضمير المتكلم معبرة عن حالتها، من حيث ((ان طرفها ما اكتحل بالنوم منذ غادرها، مع أنها تحاول النوم عسى أن تراه في منامها إلاّ أنها تعود لتقرر أن محاولتها هذهِ تعد جريمة على ثاكل مثلها فهي تشبه نفسها وبعدها عن المحبوب بالثكلى التي فقدت عزيزا))[٣]. فضلا عن استخدامها ضمير المخاطب في مخاطبة حبيبها، للتعبير عن محنتها ومعاناتها في فراقه ؛ ذلك أن استخدامها ضمير المخاطب وما تبعه من الألفاظ يوحي بان الشاعرة كانت مرتبطة أشد الارتباط بحبيبها مما دعاها إلى ان تتمنى لقياه في منامها . وبهذه الاضاءات التي بثتها الشاعرة في ثنيات النص يتضح الجو النفسي الذي كانت تعيشه جراء فراق حبيبها.

(١) غزل الشواعر في العصر العباسي أنماطه وخصائصه : ٤١.
(٢) الإماء الشواعر : ١١٠.
(٣) غزل الشواعر في العصر العباسي أنماطه وخصائصه : ١٠٦.

وقالت عريب المأمونية : [١]

أما الحبيبُ فقد مضى بالرغمِ منّي لا الرضا
أخطأت في تركي لمن لم ألقَ منه عِوضا
لبعدِه عن ناظري صرت بعيشي عرضا.

يتضح الحدث في هذا النص من خلال ذهاب الحبيب / الشخصية الرئيسة وفراقه للشاعرة / الراوي، التي كثفت في ذكر الحدث عبر لفظة (مضى)، من دون الكشف عن الأسباب التي أدت إلى وقوع هذا الحدث، أو التعمق في تصويره وبيان تفصيلاته، إنما وجهت جل طاقتها نحو مخاطبة الحبيب / الشخصية الرئيسة الذي مضى عنها، بأنه اخطأ في تركها، لمن لم تلقَ منه ما يعوض مكانته .

وقالت ثواب : [٢]

ولما أبى العُذّالُ إلا فراقنا وما لهُم عندي وعندكَ من ثارِ
وسُدّ على أبصارِنا كلُّ منظر وقلّت حُماتي عند ذاك و أنصاري
غزوتهمُ من مُقلتيكَ و أدمعي ومن نَفَسي بالسيفِ والسيلِ والنارِ .

تحكي الشاعرة / الراوي في هذه الأبيات حدث الفراق الذي وقع بينها و بين حبيبها / الشخصية الرئيسة ، مصرّحة باسم من دفع إلى هذا الفعل وهم العذال / الشخصية الثانوية ؛ فقد كانوا سببا رئيسا في حصول الفراق بين الشاعرة وحبيبها، على الرغم من عدم وجود خلاف أو مشكلات بينها و بينهم حتى يفعلوا مثل هذا الفعل .

وقالت علية بنت المهدي : [٣]

لا حُزْنَ إلاّ دُونَ حُزنٍ نالَني يومَ الفِراقِ و قدْ غدوتُ مُوَدّعا
فإذا الأَحِبَّةُ تولّتْ عِيرُهُمْ وَ بَقيتُ فَردا والهاً مُتَوَجّعا .

اكتفت الشاعرة / الراوي في هذين البيتين بالإشارة إلى فراق الاحبة، بوصفه حدثا، من دون الخوض في تفصيلات هذا الحدث وجوانبه، مكتفية بعرض الآثار التي خلفها فراق الأحبة وما اعتراها من حزن على فراقهم ؛ فقد أبقاها هذا الفراق وحيدة حزينة متوجعة . وربما

(١) الإماء الشواعر : ١٣٨.
(٢) المستظرف من أخبار الجواري : ١٩.
(٣) علية بنت المهدي سيرة وديوان : ٢١٣.

عمدت إلى ذلك راغبة ((في إطلاق العنان لخيالات متلقيه وإحساساتهم ليرودوا آفاق تلك التفصيلات))[١].

وقالت أيضا :[٢]

بأبـي مـن زارني مُكتتمـاً حَذراً من كُـل واشٍ جَزِعـا
قَـمَـرٌ نـمَّ عليـه نُـــورُهُ كيفَ يُخفـى اللّيلُ بدرا طلعا
رَصَدَ الخلـوة حتـى أمكَنَتْ ورعـى السّامرَ حتـى هَجَعـا
كابَـدَ الأهـوال في زَورتِـهِ ثُـمّ مـا سلّـم حـتّى ودّعّـا .

تبدأ الشاعرة / الراوي بسرد زيارة الحبيب / الشخصية الرئيسة إياها، و بأسلوب الراوي كلي العلم . ويبدأ الحدث بزيارة الحبيب وهو متكتم / حذر / خائف من الوشاة، لكن الذي قد يكشف الزيارة ليس الوشاة، بل وجه الحبيب الذي شبهته ((بالقمر المضيء الذي فضحه صباحه الوضاء المشع، فهي تتساءل كيف يخفي الليل المظلم هذا البدر الساطع الذي طلع عليه))[٣]. وتكمل الشاعرة / الراوي رواية الحدث بضمير الغائب، فقد كان هذا المحبوب / الشخصية الرئيسة قد أعد خطته للخلوة بها، فانتظر السامر حتى هجع ؛ لكي لا يراه أحد ويكشف أمره، ولا سيما أنه قد كابد الأهوال في سبيل الوصول إليها مما جعلها تعلن عن استعدادها لافتدائه بأبيها . وما أن وصل إليها حتى فارقها، فبعد كل ما عاناه في الوصول إليها لم يلبث أن سلم عليها راوياً عينيه من رؤيتها، ليودعها عائدا من حيث أتى . إن هذه المفارقة السلوكية توحي بحالة الخوف من أن يكشف الوشاة أمره .

إن بناء الحدث بتفصيلاته المتسلسلة المتعاقبة، التي بدأت بالزيارة بما شابها من مخاطر ثم السلام فالوداع، وما انطوى عليه من شخصيات رئيسة (الشاعرة والحبيب) وشخصيات ثانوية (الواشي والسامر) ليصلح ان يكون قصة متكاملة ــ وإن قصيرة جدا ــ ذات بناء متسلسل ؛ إذ ان النص حافل بالمواقف و الأحداث التي تتحرك فيها الشخصية الرئيسة / الحبيب، ويأتي معها التشكيل الصوري الذي شكلته الشاعرة / الراوي لهذه الشخصية، مكملة إياها، ليتضح بذلك البعدان المادي والمعنوي لها .

---

(١) عناصر القصة في الشعر العباسي : ٣٩.
(٢) منازل الأحباب ومنازل الألباب، شهاب الدين محمود بن سليمان الحلبي : ٢٧٣.
(٣) الصورة الفنية في شعر المرأة في العصر العباسي : ٦٥.

أما في موضع آخر فنجد الشاعرة / الراوي هي التي تبادره بالزيارة فتقول : [١]

قَدْ كان ما كلّفْتُهُ زمَناً يا طلُّ منْ وَجْدٍ بكم يكفي
حَتَّى أتيتُك زائرا عجلا أمشي على حَتْفي إلى حَتْفي .

يظهر الحدث عبر مبادرة الشاعرة / الراوي بزيارة محبوبها، الذي صرحت باسمه طل / الشخصية الرئيسة ، فهي التي تكابد الأهوال في سبيل وصال محبوبها (طل)، وهي تعلم بأن هلاكها قد يكون في هذه الزيارة، مصرحة بخوفها مما قد يكون من عواقب وخيمة تنتظرها (أمشي على حَتْفي إلى حَتْفي)، فثمة أعراف وتقاليد تحكمها .

وقالت في موضع اخر: [٢]

إنـي كَثَرتُ عليـهِ في زيارته فمَلَّ، والشيءُ مَمْلُولٌ إذا كثرا
ورابني مِنـهُ أنـي لا أزال أرى في طـرفه قِصَراً عنّي إذا نظرا .

تقدم الشاعرة / الراوي الحدث في هذين البيتين بضمير المتكلم، ويتجلى هذا الحدث في زيارة الشاعرة / الراوي حبيبها / الشخصية الرئيسة ، الذي بدوره مل كثرة زياراتها إياه، وعلى الرغم من أنها تقدم تسويغا لذلك، لذلك، مدافعة عنه بقولها (والشيءُ مَمْلُولٌ إذا كثرا). فإنها لا تُخفي شعورها بالريبة والشك عندما تجد حبيبها هذا يغض بعضاً من طرفه عنها .

وقالت أيضا : [٣]

جاءني عاذلي بِوَجْهٍ مُشيحٍ لام في حُبّ ذاتِ وجهٍ مَليحِ
قُلْتُ واللهِ لا أطَعْتُكَ فيها هي روحي فكيف أَتْرُكُ روحي
ظُبْيَةٌ تَسْكُنُ القِباب و تَرْعى مُرْتَعاً غير ذي أَراكٍ وشيح .

يتمثل الحدث في هذا النص في مجيئ العاذل / الشخصية الثانوية، ولومه الشاعرة / الراوي على حبها حبيبها / الشخصية الرئيسة،(ذات الوجه المليح) . وقد عمل التضاد على إبراز صورة الحدث من خلال الجمع بين قبح الوجه الذي تمثل في العاذل، و جماله الذي تمثل في وجه الحبيب . ويقترن الحوار هنا بالحدث من خلال الفعل (قلت)، الذي وجهته الشاعرة / الراوي إلى العاذل، ليحكي عدم رضاها عما جاء به من لوم، مجيبة إياه في الوقت

(١) علية بنت المهدي سيرة وديوان : ٢١٥.
(٢) المصدر نفسه : ٢٠٨.
(٣) المصدر نفسه : ٢٠٢ .

عينه بأن الحبيب هو روحها الذي ملأ عليها حياتها وقلبها . ويأتي التشبيه وسيلة لإكمال رسم صورة الحدث من خلال تشبيه المحبوب بالظبية التي ترعى مرتعا غير ذي أراك وشيح كناية الخصب والرخاء والنعيم الذي يعيش فيه هذا المحبوب من جهة، ومن جهة اخرى يأتي وسيلة لإبراز جمال هذا الحبيب، نظرا لما تمتاز به الظبية من خصائص جمالية في قوامها الرشيق المتناسق ورقبتها الطويلة وجمال عينيها .

ولعل استخدام الشاعرة / الراوي ضمير المذكر في الحديث عن نفسها، وضمير المؤنث للحديث عن حبيبها (هي، وظبية) يدل دلالة واضحة على الصراع النفسي الذي كانت تعاني منه الشاعرة، حتى جعلها تعاني من دوامة من الحيرة والاضطراب والقلق بين أن ترضي حبيبها فتتوجه إلى مخاطبته على الوجه الذي ينبغي أن يكون، وأن تراعي مجتمعها والبيئة التي تعيش فيها وتتقي ألسنة الواشين والمتربصين، فتعمد إلى أسلوب التأنيث في مخاطبتها إياه، بقصد أن تُعمَّ الأفهام عن اسم الحبيب الاصيل فتناديه مؤنثا ((فالمرأة مسكونة دوما بهاجس إرضاء السائد، وتجنب الانتقاد))[١] . إن استخدامها هذا السلوك اللغوي تحكمه شروط النظام الاجتماعي، والتي تسهم بدورها في اختيار الصياغة اللغوية المناسبة، فالسلوك اللغوي والنظام الاجتماعي في حالة تفاعل دائم [٢] .

وقد أسهم البحر الخفيف الذي هو من أخف البحور، وأطلاها على السمع، والذي يسهل فيه التصرف بالمعاني جميعا في أن ينقل الانفعالات النفسية التي تنبع من قلب الشاعرة / الراوي المضطرب وأن يعبر عن معاناة نفس معذبة في حبها [٣] .

كثرت الإشارة إلى البكاء بخاصة والحزن بعامة في شعر المرأة في العصر العباسي وسنعرض له ههنا، بوصفه جزءا من حدث جلل . وللبكاء اسباب كثيرة منها الحزن والحسرة والفراق والموت ... ((ولما كان الشعر تعبيرا عن حالة انفعالية ووصفا لخلجاتها، فإن العلاقة بينه وبين البكاء علاقة حتمية لان التعبير عن تلك الحالات الانفعالية ووصف تلك الخلجات لا تتم أحيانا و لا يُفصح عنها إلا عن طريق البكاء، والمسالة الأخرى تتعلق بالعاطفة التي تقف وراء حدوث البكاء كما تقف وراء النتاج الشعري))[٤] . وقد ارتبط البكاء عند شواعر العصر العباسي بالموت ؛ إذ ((ان الحديث عن الموت من أكثر الأمور ارتباط بالإنسان،

---

(١) اللغة والجنس حفريات لغوية في الذكورة والأنوثة، عيسى برهومة : ٤١ .

(٢) ينظر : المصدر نفسه : ٤٣ .

(٣) ينظر : علية بنت المهدي سيرة وديوان : ١٧٧ .

(٤) دلالات البكاء وموضوعاته في الشعر الاموي، بدران عبد الحسين البياتي : ١.

وتأثيرا في سلوكه وتفكيره الواعي واللاوعي، حيث تتولد لدى الانسان مشاعر حزينة لا يستطيع طمسها أو تغيرها ؛ لأنّ ذلك خارج نطاق إرادته الذي يعبّر عنه بالبكاء فلا يمكنه التحكم فيه أو بترديد شعر حزين يعبر عن الألم والمعاناة من الخوف))[١] . وتتجلى مظاهر البكاء ((في القيم التعبيرية والهيكلة التصويرية، وما تبثها من إشارات تواصلية و معلومات إخبارية تتدخل فيها لتكون ركنا من أركان البناء النصي ذلك الركن الذي يتأثر بالحدث ويؤثر فيه من خلال العلامات المؤشرة لذلك الحدث أو الدالة عليه))[٢].

وقالت لبانه بنت علي المهدي في رثاء الأمين :[٣]

أبكيك لا لِلنَّعيمِ و الأُنْسِ بَلْ لِلمعالي والرُّمحِ والفرسِ
أبكي على سيّد فُجِعْتُ به أرْمَلني قبلَ ليلةِ العُرُسِ
يا فارِساً بِالعراءِ مطّرحاً خانتهُ قوّاده مع الحرَسِ
مَن للحروبِ التي تكون بها إن أضرمت نارها بلا قبسِ
مَن لِليَتامى إذا همُ سغبوا وَ كلّ عانٍ و كلّ مُحتبس
أَم مَن لبرٍّ أَم من لعائدةٍ أَم مَن لذكرِ الإله في الغَلَس .

إن بكاء الشاعرة / الراوي كان جراء مقتل الأمين / الشخصية الرئيسة . ويوحي الحضور الوجداني المتأثر الذي ينتظم النص بالحالة الشعورية التي تعاني منها للشاعرة / الراوي، والتي عبرت عنها بالبكاء من خلال تكرار معنى (البكاء) في أكثر من لفظة، الأولى: (ابكيك) التي خاطبت بها المرثي مؤكدة له أنها لا تبكيه للنعيم والأنس بل للمعالي التي ذهبت بموته، والثانية : (ابكي) عبرت عنها بصيغة المتكلم حسب، كشفت بها عن مدى كبر حزنها وعظم ألمها بفقده، ولاسيما أنه تزوجها وقد قتل قبل أن يدخل بها . ثم تعمد الشاعرة / الراوي إلى أسلوب النداء البعيد لمخاطبة المرثي موحية ببعده عنها وهو مقتول، ومشكلة في الوقت عينه صورة مأساوية له وهو مطروح بالعراء قد خانه قادة جيشه / الشخصيات الثانوية. ثم تتساءل بأداة الاستفهام (مَن) خمس مرات لتبين اختفاء وهج الحروب والمعارك بموته، ولتكشف عن مدى شعور المحتاجين والضعفاء بالفقد بوفاته، فضلا عن الإشارة إلى مدى ما

(١) البكاء في شعر العباس بن الاحنف، ثروت حاتم أحمد بدر : ٥٥ .
(٢) دلالات البكاء وموضوعاته في الشعر الاموي : ١ .
(٣) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام : ٢٣٩ .

كان عليه من تقوى وإيمان حتى لم يعد ثمة من يقوم الليل بعده، مكررة في أثناء ذلك أداة العطف (أم) ثلاث مرات [١].

وقالت تتريف : [٢]

يا ملكاً لستُ بناسيهِ نعى إليَّ العيشَ ناعيهِ
والله ما كنت أرى أنّني أقومُ في الباكين أبكيهِ
والله لو يُقْبَلُ فيهِ الفدا لكنتُ بالمهجةِ أفديهِ
عاذلتي في جَذَعي أقصِري قد عَلِقُ الرهنُ بما فيهِ .

جاء بكاء الشاعرة / الراوي في هذا النص بسبب موت المأمون / الشخصية الرئيسة . وتفتتح الشاعرة / الراوي نصها بمخاطبة المرثي / الشخصية الرئيسة (المأمون)، موظفة أداة النداء(يا)، مضيفة إليها لفظة (ملكا) ((لتبين العلاقة الحميمة التي تربطها بالخليفة، ومشاعرها تجاهه))[٣] . وقد ادى أسلوب النداء وظيفة نفسية، فقد كان بمثابة الزفرة التي تخرج من صدر الشاعرة للتنفيس عن ألمها والحزن الذي ترزح تحت وطأته[٤] . فضلا عن تكرار اسلوب القسم (والله) مرتين ؛ لتؤكد أنها لم تتكن تتصور أنها سوف تعيش حتى ترى موته وتبكيه مع الباكين، بل إن شدة حزنها و ألمها عليه دفعتها إلى أن تقسم (والله لو يقبل فيه الفدا.....) . وهكذا كان بناء الحدث ههنا بناءً وجدانيا ؛ فالشاعرة / الراوي تضعنا أمام أدوات تعبيرية عكست من خلالها ما تعانيه من ألم وحزن على فقد المأمون، حتى قيل إنها ظلت تبكي عليه و تنوح إلى ان ماتت [٥] .

ولقد أدى الجناس بين (ناسيه، ناعيه) وجناس الاشتقاق بين (نعى، ناعيه) و (الباكين، أبكيه) دورا في التعبير عن شده حزن الشاعرة / الراوي وألمها الذي شعرت به عند موت المأمون وفراقه. فضلا عما أحدثه صوت (الهاء) من تناغم صوتي، ودلّ عليه من الألم والحزن اللذين استقرا في داخلها بسب فراق لا رجعة فيه، ومن عظم المأساة التي اصابتها مما دفعها إلى التصريح باستعدادها لفداء المرثي بنفسها [٦] .

---

(١) ينظر : ثراء النص قراءات في الشعر العباسي : ٧٦ .
(٢) المستظرف من اخبار الجواري : ١٨.
(٣) صورة الرجل في شعر المرأة في العصر العباسي : ٧٧ .
(٤) الموت في الشعر العباسي (٣٣٢هـ - ٤٥٠هـ)، حنان احمد خليل : ١٦٣ .
(٥) ينظر : المستظرف من اخبار الجواري : ١٨.
(٦) ينظر : صورة الرجل في شعر المرأة في العصر العباسي : ٩٧ .

وقالت بوران بنت الحسن بن سهل في رثاء المأمون : [١]

أسْعِداني على البُكا مُقْلَتَيَّا صِرتُ بعد الإمامِ اللهمَّ فَيَّا
كنت أَسطو على الزمان فلمَّا مات صار الزمانُ يَسطُو عَلَيَّا .

إن الحدث في هذين البيتين هو موت الخليفة المأمون / الشخصية الرئيسة ، وقد استعانت الشاعرة / الراوي في هذا النص بالتشخيص من خلال تشخيص مقلتيها، بوصفهما شخصين تطلب منهما أن يساعداها على البكاء، لتخفف عما في داخلها من هم وحزن جراء موت زوجها المأمون / الشخصية الرئيسة. لقد كان موت المأمون حدثا فاجعا في حياتها ؛ فبعد ان كانت تسطو على الزمان بقوة زوجها وسلطته في حياته، صار الزمان / شخصية ثانوية هو الذي يسطو عليها بعد موته، وهذه كناية عن مدى الضعف والانكسار الذي حصل لها بعد موته، بدلالة قولها (صرت بعد الإمام اللهم فيّا) .

(١) نساء الخلفاء، تاج الدين المعروف بابن الساعي : ٧١ .

الخاتمـــــة

بعد الانتهاء من دراستنا للحدث في شعر المرأة في العصر العباسي توصلنا إلى أهم النتائج الآتية :

- ارتبط الحدث بالزمن في شعر المرأة في العصر العباسي، واعتمد الشواعر في تقديم الأحداث وبنائها النسق التتابعي، مما ادى إلى ظهور الأحداث بشكل مختزل و مكثف ضمن مساحة نصية محددة، ليتناسب مع طبيعة شعرها الذي تغلب علية صفة المقطعات الشعرية .
- إن بعضاً من شعر المرأة العباسية يقترب، في تشكيله وبنيته القائمة على التكثيف والاختزال ـ سواء أكان ذلك من خلال ذكر الحدث أم الشخصيات أم الامكنة ـ من بنية القصة القصيرة جدا .

ثبت المصادر

أولاً: الكتب

- آليات السرد في الشعر العربي المعاصر، عبد الناصر هلال، ط ١، الناشر مركز الحضارة العربية، القاهرة، ٢٠٠٦ م .
- الأدب وفنونه (دراسة ونقد)، عز الدين إسماعيل، ط ٩ ، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠١٣ م .
- الألسنية و النقد الأدبي في النظرية والممارسة، موريس ابو ناصر، (د . ط)، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٩ م .
- الإماء الشواعر، ابو الفرج الاصفهاني، تحقيق : جليل العطية، ط ١ ، دار النضال، بيروت، ١٩٨٤ م .
- بناء الرواية دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، سيزا قاسم، (د . ط)، مكتبة الأسرة ، القاهرة، ٢٠٠٤ م .
- البناء الفني لرواية الحرب في العراق (دراسة لنظم السرد والبناء في الراوية العراقية المعاصرة)، عبدالله ابراهيم، ط ١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٨م .
- بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، حميد لحمداني، ط ١، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩١م .
- تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبئير)، سعيد يقطين، ط ٣، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت، ١٩٩٧ م .
- التخييل القصصي الشعرية المعاصرة، شلوميت ريمون كنعان، ترجمة : حسن أحمامة، ط١ ، الناشر دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٩٥ م .
- تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، أمنة يوسف، ط ٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، ٢٠١٥م .
- ثراء النص قراءات في الشعر العباسي، منتصر عبد القادر الغضنفري، ط ١، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٩م .
- دراسات في القصة العربية الحديثة أصولها اتجاهاتها أعلامها، محمد زغلول سلام، (د . ط) ، مطبعة الكاتب المصري للطباعة والنشر، الاسكندرية، (د . ت) .
- السرد عند شعراء القصائد العشر الطوال، ميلاد عادل جمال المولى، ط ١، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٢ م .
- شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، بشير يموت، ط ١، المكتبة الاهلية، بيروت، ١٩٣٤ م .

- علية بنت المهدي سيرة وديوان، آمنة مِسَّكية برّ، ط ١، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر ، بيروت ـ لبنان، ١٩٩٨ م.
- عناصر القصة في الشعر العباسي، منتصر عبد القادر الغضنفري، ط ١، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٢ م .
- غزل الشواعر في العصر العباسي أنماطه وخصائصه، مثنى عبدالله جاسم، ط ١، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٣ م .
- في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد، عبد الملك مرتاض، (د . ط) ، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٨ م .
- القصة القصيرة النظرية والتقنية، إنريكي أندرسون إمبرت، ترجمة : علي إبراهيم علي منوفي، مراجعة : صلاح فضل، (د . ط)، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٠م .
- اللغة والجنس حفريات لغوية في الذكورة والأنوثة، عيسى برهومة، ط ١، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٢ م .
- المتخيل السردي مقاربات في التناص و الرؤى والدلالة، عبدالله إبراهيم، ط ١ ، الناشر المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٠ م .
- مدخل إلى جامع النص، جيرار جينيت، تعريب : عبد العزيز شبيل، مراجعة : حمادي صمود، (د . ط)، المجلس الأعلى للثقافة، (د . م)، ١٩٩٩م .
- مدخل إلى فن كتابة الدراما، عادل النادي، ط ١، نشر وتوزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبدالله، تونس، ١٩٨٧ م .
- المستظرف من أخبار الجواري، جلال الدين السيوطي الشافعي، حققه : صلاح الدين المنجد، ط ٢، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧٦ م .
- معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب، مجدي وهبه و كامل المهندس، ط ٢ ، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٤ م .
- معجم مصطلحات نقد الراوية، لطيف زيتوني، ط ١، مكتبة لبنان، بيروت، ٢٠٠٢م.
- منازل الأحباب و منازل الألباب، شهاب الدين محمود بن سليمان الحلبي، تحقيق : عبد الرحيم محمد عبد الرحيم، (د . ط) ، مطبعة التيسير، القاهرة، ١٩٨٩ م .
- المنهج التكويني من الرؤية إلى الإجراء، رحمن غركان، (د . ط)، مؤسسة الانتشار العربي،، (د . م)، (د . ت) .
- نساء الخلفاء (المسمى جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والاماء)، تاج الدين أبي طالب بن أنجب المعروف بابن السباعي الخازن البغدادي، حققه وعلق عليه : مصطفى جواد، (د . ط)، دار المعارف، القاهرة، (د . ت) .

- النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق، عدنان بن ذريل، (د . ط)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٠م .
- نظرية المنهج الشكلي نصوص الشكلانيين الروس، ترجمة : ابراهيم الخطيب، ط ١، الناشران مؤسسة الابحاث العربية . بيروت . و الشركة المغربية للناشرين المتحدين . المغرب .، ١٩٨٢ م .
- النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، (د . ط)، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٩٧م.
- الوجود والزمان والسرد، بول ريكور، ترجمة وتقديم : سعيد الغانمي، ط ١، الناشر المركز الثقافي العربي ، بيروت، ١٩٩٩م .

ثانياً: الدوريات

- بناء الحدث في شعر نازك الملائكة (مقاربة نصية)، نجوى محمد جمعة، مجلة اداب البصرة، ع ٤٤، لسنة ٢٠٠٧ .
- الحدث و أنماطه في الشعر السعودي المعاصر مقاربة تطبيقية للشاعرين الروائيين القصيبي والصاعدي، سلطانة محمد العتيبي، التجديد مجلة فكرية تصدرها الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، مج ٢٣، ع ٤٦، ٢٠١٩ .
- دلالات البكاء و موضوعاته في الشعر الأموي، بدران عبد الحسين البياتي، مجلة كلية الآداب، ع ٩٨ .

ثالثاً: الرسائل والأطاريح

- البكاء في شعر العباس بن الاحنف، ثروت حاتم أحمد بدر، رسالة ماجستير، بإشراف د.حسام محمد التميمي، جامعة الخليل، ٢٠١٨ م .
- صورة الرجل في شعر المرأة في العصر العباسي، إبراهيم أحمد إبراهيم حمايده، رسالة ماجستير، بإشراف د.عبد الخالق عيسى، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، ٢٠١٣م .
- الصورة الفنية في شعر المرأة في العصر العباسي، خديجة خلف القعايدة، رسالة ماجستير، بإشراف د. ماهر أحمد المبيضين، قسم اللغة العربية، جامعة موتة، ٢٠١٧م.
- الموت في الشعر العباسي (٣٣٢هـ - ٤٥٠هـ)، حنان أحمد خليل، رسالة ماجستير، بإشراف د. إبراهيم الخواجا، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، ٢٠٠٣م .